بالجبلي اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال
لخر الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر
طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها انه مع كونه من جنس
كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب
والشعر ونحوها بحيث عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شيء منه
اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه
ولقد رام قوم من المتاخرين ممن اشتهرت البتهم فصاحة وقيتهم
شيئا من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم
من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحى ما عمل
ثالثها تاثيره في النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة
عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه
لا يمله بل كان كلما ازداد تكريره زاد حلاوته واتضحت طلاوته
رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا
في الكتاب من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون نحو فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا ولن يتمنوه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى
الموت يهودي وهذا ايضا من الخبر المعجزات قال بعض المحققين
اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان
اذ تاليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له
رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج
عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر
ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها
وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي التوجه ولهذا تجد هذا

يوثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرههما وينشرح لحرفة اخرى
وهكذا فلما دعى الله تعالى اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد
من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القران فعجزوا عن
الاتيان بمثله ولم يتصدوا المعارضة لم يخف على اولي الالباب ان لها
صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا
وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة
لكن افسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية فيه
دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم
يبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع
الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة
الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله
تعالى لا الى القران وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان
التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول صلى الله
عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة باقية له اظهر من القران
ويلزمه الصرفة لانه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت
القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو
محال قلت مع قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها
القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة
اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه الهمم لانها مع العجز عنها في نفس الامر
لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف
وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون
سلب القدرة عن المحاكات ابتدا بل بعد الاختبار رفقا مثله

Copyright © King Saud University